

Woman as a Motive for the Formation of Pre-Islamic Prose Text: A Study in Light of Cultural Patterns

Researcher: Sura Salam Adnan

University of Baghdad/ College of Arts/ Department of Arabic Language
sarosh9190@gmail.com

Prof. Dr. Ikhlas Mohammed Idan

University of Baghdad/ College of Arts/ Department of Arabic Language
ekhlasmahmed@coart.uobaghdad.edu.iq

Copyright (c) 2024 (Sura Salam Adnan, Prof. Dr. Ikhlas Mohammed Idan (Ph.D.)

DOI: <https://doi.org/10.31973/hrw5as17>



This work is licensed under a [Creative Commons Attribution 4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Abstract:

Women have formed a wide and great presence in society. They represent an important element and an integral part of social life, which is not complete without their presence. They are present at every time and place because they are the other side of life, they lived in a harsh natural environment with a volatile climate, and tribal life was based on invasion, plunder, and other things that happen in the lives of Arabs, yet she remained strong and steadfast and faced all the challenges that stood before her in order to prove herself, then she became a symbol of beautiful everything, and at the same time she was a symbol of suffering as well.

In pre-Islamic life, women became the main axis around which circles revolved, women were a point of attraction, admiration, revelation, and inspiration; they bore most of the literary and prose works with their mark, they were the pole of the universe, the home of magic and beauty, and they were the ideal and most present model, as they took on an aesthetic model in all ages.

Women have brought on these Arab traits that control the formation of man from his early childhood, so her influence on the movement of events was merely a reaction to the impact on her of everything that happened around her in her environment, in which she received blows one after the other as the tribes fought and made huge sacrifices of loss, orphan hood, deprivation and destitution in that era, and the woman was the victim every time, exhausting all her energies and contributions, and indeed all the energies and capabilities of society, and yet the Arab woman embodied all the great values that we see her in her creativity and her life. She has never abandoned these values that carry the reasons for life for her, and she has the greatest right and the greatest effort to create this life.

Keywords: Women, Pre-Islamic prose, Cultural patterns

المرأة باعناً على تكوين النصّ النثري الجاهلي

دراسة في ضوء الأنساق الثقافية

أ.د. إخلاص محمد عيدان
جامعة بغداد / كلية الآداب
قسم اللغة العربية

الباحثة: سري سلام عدنان
جامعة بغداد / كلية الآداب
قسم اللغة العربية

ekhlasmahmed@coart.uobaghdad.edu.iq

sarosh9190@gmail.com

(مُلخَصُ البَحْث)

شكلت المرأة حضوراً واسعاً وعظيماً في المجتمع، فهي تمثل عنصراً مهماً وجزءاً أصيلاً في الحياة الاجتماعية، التي لا تكتمل إلا بوجودها فهي موجودة بكل زمان ومكان لأنها الوجه الآخر للحياة، إذ عاشت في بيئة طبيعية قاسية والمناخ فيها متقلب والحياة القبلية قائمة على الغزو والسلب وغيرها من الأمور التي تحدث في حياة العرب، ومع ذلك فقد ظلت قوية صامدة تواجه كل التحديات التي تقف أمامها من أجل إثبات ذاتها، ثم أصبحت رمزاً لكل شيء جميل، وكانت في الوقت نفسه رمزاً للمعاناة أيضاً.

أصبحت المرأة في الحياة الجاهلية هي المحور الأساسي الذي تدور حوله الدوائر فكانت المرأة نقطة استقطاب وإعجاب ووحى وإلهام فحملت جل الأعمال الأدبية والثرية بصمتها، فهي قطب الكون وموطن السحر والجمال وكانت النموذج الأمثل والأكثر حضوراً إذ اتخذت نموذجاً جمالياً في كل العصور. وقد جلبت المرأة على هذه الطباع العربية التي تسيطر على تشكيل الإنسان منذ نعومة أظفاره، فكان تأثيرها في حركية الأحداث مجرد رد فعل لما يقع عليها من أثر إزاء كل ما يحدث من حولها في بيئتها، التي تلقت فيها الضربات واحدة تلو الأخرى حين تناحرت القبائل وقدمت التضحيات الجسيمة من الفقد واليتم والحرمان والعوز في ذلك العصر، وكانت المرأة هي الضحية في كل المرات، و المنهكة لكل طاقاتها وعطاءاتها بل لكل طاقات المجتمع وقدراته، ومع ذلك فقد تحلت المرأة العربية بكل القيم العظيمة التي نراها في إبداعها وحياتها لم تتخل يوماً عن هذه القيم التي تحمل أسباب الحياة لها، وهي صاحبة الحق الأكبر والجهد الأعظم في خلق هذه الحياة.

الكلمات المفتاحية: المرأة، النثر الجاهلي، الأنساق الثقافية

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الخلق محمد بن عبد الله وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين ، أما بعد:

مثلت المرأة حضورًا بارزًا في المجتمع الجاهلي، فهي تمثل جزءًا مهمًا في الحياة الاجتماعية، التي لا تكتمل إلا بوجودها فهي موجودة بكل زمان ومكان لأنها الوجه الآخر للحياة، إذ عاشت في بيئة طبيعية قاسية والمناخ فيها متقلب والحياة القبلية قائمة على الغزو والسلب وغيرها من الأمور التي تحدث في حياة العرب. واحتلت المرأة مكانة متميزة في العصر الجاهلي، ولها منزلتها السامية في المجتمع الذي تعيش فيه، إن المرأة كانت محور الاهتمام ورافدة للإحساس بالجمال، إلا أن المرأة العربية تكره السبي لما فيها من مهانة لها، ولجميع أفراد قبيلتها، ولما فيه من غربة وبعد عن الوطن والأهل والأحبة ؛ لذلك كانت تحاول تجنبه بكل وسيلة، فإن وقعت أسيرة فإنها تظل وتتحدى لكي تستطيع الخلاص منه، وكانت الشعوب القديمة تنظر لها نظرة تقديس، لذلك اعترى العربي بكل شيء يبعث الحياة، ويمد في ديمومتها واستمرارها، ومن بين هذا المرأة الولود، التي تمده بالأولاد القادرين على إعانتها على تجاوز الحياة القاسية ومصاعبها، فأصبحت المرأة من نسيج المجتمع الجاهلي وضلع في النشاط اللغوي . وجرى دراسة الجانب النسوي في الخطاب النثري الجاهلي، واتخاذ من هذا الخطاب مسارًا لتحليل نقدي على وفق النظرية النقدية الحديثة وهي نظرية الأنساق الثقافية التي انتمت لأطروحات النقد الثقافي، وبالطبع كانت هناك دراسات سابقة اتخذت من المرأة و النثر الجاهلي ميدانًا لها، ومنها: صورة المرأة في النثر الجاهلي (رسالة ماجستير) زهور علي عثمان دويكات، تحولات الخطاب النسوي بين المراوغة والتملك (قراءة في الأنساق الثقافية في أدب المرأة القديم) للباحثة إيمان عصام خلف، وقسمت البحث على جانبين: شمل الجانب الأول: التنظير، في حين ضم الثاني: التطبيق، ومن ثم شغفت البحث بخاتمة ضمت أهم النتائج، وقائمة من المصادر والمراجع التي رفدت البحث بالمعلومات العلمية التي خدمت فكرة البحث.

الجانب الأول

الإطار النظري :

مدخل :

شكلت المرأة حضورًا واسعًا وعظيمًا في المجتمع، فهي تمثل عنصرًا مهمًا وجزءًا أصيلًا في الحياة الاجتماعية، التي لا تكتمل إلا بوجودها فهي موجودة بكل زمان ومكان لأنها الوجه الآخر للحياة، إذ عاشت في بيئة طبيعية قاسية والمناخ فيها متقلب والحياة القبلية قائمة على الغزو والسلب وغيرها من الأمور التي تحدث في حياة العرب ، ومع ذلك فقد ظلت قوية صامدة واجهت كل التحديات التي تقف أمامها من أجل إثبات ذاتها ، ثم أصبحت رمزًا لكل شيء جميل ، وكانت في الوقت نفسه رمزًا للمعاناة أيضًا) محمد، ٢٠١٢، ص ١٠٧، الحبوبي والموسوي، ٢٠٢٠، ص ٣١٩-٣٢٠).

يقصد بالمرأة لغة : ((امرأة مؤنث مرء . ومرء في السامية القديمة : مرا ومؤنثه امرأة ويعني السيد المولى ، والمرأة لها عدة صيغ فإلى جانب مرءة نقرأ امرأة ومرءة ومرءة ، والأخيرة على اللفظ السامي القديم . وتدخّل "ال" التعريف على المرأة والمرءة ولا تدخّل على امرأة إلا في الشواذ . وجمع المرأة نساء ونسوة ونسوان . والنسبة إلى الجمع نسائي ونسوي ونسواني . والنسوان هي الدارجة في لغة الكلام المعاصر))، ((نساء جمع مرءة . متطور عن سامية أقدم . ففي العبرية "نشيم" والمفرد أشه على غير لفظ الجمع كما في نساء ومرءة . والنساء متطورة عن نشيم . وجمع النساء صيغتان أخريان هما نسوة ونسوان ونساوين . عامي والمستعمل في لغة الكلام نسوان ونساوين)) (العلوي، ١٩٩٦، ص ٩-١١٧) ، وفي معجم لسان العرب لابن منظور ((فقالوا : امرأة ، فإذا عرفوها قالوا : المرءة ... وقال ابن الأنباري: الألف في امرأة وامرئٍ ألف وصل. قال : وللعرب في المرءة ثلاث لغات ، يقال : هي امرأته وهي مرأته وهي مرّته)) (المصري، ٢٠١٠، ص ١/١٥٦).

ومفهوم المرأة في الاصطلاح : يرى إبراهيم جوير أن ((المرأة التي تجمع بين العمل خارج البيت ومسؤوليات الأسرة ، أي أنها امرأة متعددة الأدوار ، يتعدى نشاطها المنزل)) (حسان والعربي، ٢٠١٥، ص ٢٨٤).

إن هناك نظرتان للمرأة في الجاهلية ، الأولى: نظرة احترام وتقدير لكون المرأة أصبح لها صوت مسموع وشهرة واسعة اعترف بها النقاد لبعض منهن ، تلك هي حياة المرأة العربية في جاهليتها ، تميزت بحياة العظيمة الوادعة الرائعة ، والنفس الأبوية النقية ، فقد كانت النساء في أيام الجاهلية ذوات كمالٍ ، ووفور معرفةٍ ، ومزيد فطانيةٍ وذكاءٍ ، وحادّة نظرٍ، حتى تزيّنت بذكر مآثرهنّ صحف التواريخ ، ونشأت المرأة العربية في قوم قد غلبت عليهم دقة الحس ،

وسؤرة النفس، وخوض مناهل الدم خوف انثلام الشرف، فكانت المرأة هي أدق أوتار الحس من قلوبهم، وأوضح مواطن الشرف في نفوسهم، والثانية: نظرة دونية مهمشة ودورها مستصغر في المجتمع الخاضع للثقافة السائدة وقتها وتأثير العصبية القبلية التي انحازت للطرف الآخر جملة وتفصيلاً، فلم تكتف المرأة بكونها مهمشة أو حتى فاعلة في خطاب الآخر الذكوري (عفيفي، ١٩٣٢، ص ٧/١-١٦، كامل، ٢٠١٩، ص ٥٨-٦٠).

أصبحت المرأة في الحياة الجاهلية هي المحور الأساسي الذي تدور حوله الدوائر فكانت المرأة نقطة استقطاب وإعجاب ووحى وإلهام فحملت جل الأعمال الأدبية والنثرية بصمتها، فهي قطب الكون وموطن السحر والجمال وكانت النموذج الأمثل والأكثر حضوراً إذ اتخذت أنموذجاً جمالياً في كل العصور (آمال، ٢٠١١، ص ٨-٩).

وقد جلبت المرأة على هذه الطباع العربية التي تسيطر على تشكيل الإنسان منذ نعومة أظفاره، فكان تأثيرها على حركية الأحداث مجرد رد فعل لما يقع عليها من أثر إزاء كل ما يحدث من حولها في بيئتها، التي تلقت فيها الضربات واحدة تلو الأخرى حين تناحرت القبائل وقدمت التضحيات الجسيمة من الفقد واليتم والحرمان والعوز في ذلك العصر، وكانت المرأة هي الضحية في كل المرات، والمنهكة لكل طاقاتها وعطاءاتها بل لكل طاقات المجتمع وقدراته، ومع ذلك فقد تحلت المرأة العربية بكل القيم العظيمة التي نراها في إبداعها وحياتها لم تتخل يوماً عن هذه القيم التي تحمل أسباب الحياة لها، وهي صاحبة الحق الأكبر والجهد الأعظم في خلق هذه الحياة (فوزي، ٢٠٢٠، ص ٨٤٤٩).

واحتلت المرأة مكانة مرموقة في عصر ما قبل الإسلام، ولها منزلتها السامية في المجتمع الذي تعيش فيه، إن المرأة كانت محور الاهتمام ورافدة للإحساس بالجمال، إلا أن المرأة العربية تكره السبي لما فيها من مهانة لها، ولجميع أفراد قبيلتها، ولما فيه من غربة وبعد عن الوطن والأهل والأحبة؛ لذلك كانت تحاول تجنبه بكل وسيلة، فإن وقعت أسيرة فإنها تظل وتتحدى لكي تستطيع الخلاص منه، وكانت الشعوب القديمة تنظر لها نظرة تقديس، لذلك اعتز العربي بكل شيء يبعث الحياة، ويمد في ديمومتها واستمرارها، ومن بين هذا المرأة الولود، التي تمده بالأولاد القادرين على إعانته على تجاوز الحياة القاسية ومصاعبها، فأصبحت المرأة من نسيج المجتمع الجاهلي وضلع في النشاط اللغوي، إذ أبدعت في المحاورات التي تلقىها، فهو نتاج تاريخي، وشهادة على مكانة المرأة وأدوارها المختلفة الخاصة والعامة، فكانت المرأة رمزاً للاستقرار والأمان والديمومة، ولم يكن ذلك التقديس في العصر الجاهلي إلا امتداداً لمعتقدات قديمة سادت في المجتمعات البدائية التي أوكلت للمرأة مهمة استمرار الحياة والخصوبة والنماء، وحتى التعامل مع المرأة العربية لم

يكن على مستوى واحد ، بل على مستويات وأقسام مختلفة ، وكان هناك نوعان من النساء إما إماء أو حرائر، ونجد البعض منهن يتمتعن بمنزلة ومكانة عالية والبعض الآخر كن في منزلة دنيا(علي، ٢٠١٩، ص١٢-١٣-١٤ ، مهنا، ٢٠٠٧، ص١٨ ؛ المنصور، ٢٠٠٥، ص٧٢ ، العتابي، ٢٠١٦، ص٩٢ ، أحمد ، ٢٠٢١، ص٥٠١). ونجد هذا الحرص والغيرة على المرأة لأنها محافظة على عفتها وحيائها ، فقد كن حريصات كل الحرص على سمعتهن ، فهن يفضلن الموت على فعل ما يغض من ذكر قومهن أو يلحق بهن العار في المجتمع الجاهلي ، وتميزت المرأة الجاهلية بهذه الخصال الشريفة فكان نتيجة حسن تأديب والديها لها ، وكانت تعنى ببيت روح العفة وعزة النفس في فؤادها ، حتى إذا ترعرعت خرجت نظيرها لا همة لها إلا كرم الأخلاق وطيب الخصال ، ولا رغبة إلا في نقاء العرض وحسن الذكر ، وكانت المرأة الحرة يغار عليها لأنها محصنة ومحترمة لديهم ، وأما المرأة الأمة فلا مكان لها في الجاهلية ولا كرامة لها ، فهي تباع وتشتري، لا حرية لها، إذ هي مستعبدة لسلطة سيدها حتى أنها كانت تمنع من ممارسة حقها في ارتداء الحجاب منعاً لتشبيهها بالنساء الحرائر(باقر، ٢٠٢١، ص٦-٧ ، الزيات، ٢٠١٢، ص٣٣).

وتحاول المرأة إثبات وجودها عبر هويتها ، من خلال ذاتها التي لا يمكن إلا أن تكون ذاتاً مستقلة بنفسها كي تكتسب الاحترام الذي تستحقه ، فشخصية المرأة الفاعل قد تكون شخصية إيجابية وقد تكون شخصية سلبية ، وذلك بالنظر إلى ثنائية (الخير والشر) التي تحكم بناء الحياة الخاص بالجماعة البشرية ، وفقاً لمنظور التجربة الإنسانية وطريقة إدراك العقل الجمعي لها ؛ ومن ثم فإن المرأة بوصفها جزءاً مكوناً لتلك الشخصية التي تتوزع إلى ذات إيجابية والأخرى سلبية ، ويرى فرويد أن الأنا المثالية تقوم باستعادة جميع الآثار الباقية عن طريق التطورات البيولوجية والتغيرات التي مرت بها ، إذ يظهر أن هناك فرق كبير في مكانة المرأة الاجتماعية داخل المجتمع على وفق مكانتها الطبقيّة ، فكانت المرأة المنتمية للطبقة العالية قد امتلكت حقوقاً وحرّيات، لم تمتلكها الأخريات من الطبقات الأخرى (آغاسانسكي، ٢٠١٤، ص٢١ ، محمد، ٢٠١٥، ص٤٢ ، فرويد، ١٩٨٢، ص٦٠ ، البذور، ٢٠١٢، ص٤٢).

شاركت المرأة العربية في عصر ما قبل الإسلام وبعده مشاركة واضحة في تشكيل البناء الاجتماعي ، وكان لها حضورها البارز في مشاهد الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، لكن يتفاوت هذا الحضور أحياناً تبعاً لمتغيرات المجتمع نفسه ، وما يسوده من أعراف وقيم وتقاليد ، وكانت مشاركتها الفاعلة في الخطب المؤثرة ووصاياها العامرة وغيرها، وقد أبدعت المرأة في المستويات جميعها ، مصورة ما يدور في نفسها من المشاعر

والأحاسيس والعواطف ، إذ تعددت مواهبها النثرية واستطاعت ببيانها أن تؤثر في جمهورها ، ولعل قلة نثرها في الشعر عامة والنثر خاصة يعود إلى حالة العبودية التي كانت تعيشها بسبب تقاليد ذلك العصر وعاداته ومعتقداته التي تتفاوت من بيئة إلى بيئة ، ومن قبيلة إلى قبيلة (الحراشنة، ٢٠٠٣، ص ١-٧).

تسلمت المرأة الرئاسة السياسية في بعض المدد الزمنية من العصر الجاهلي ، وكانت لها القيادة الفعلية في الحياة العسكرية ، وأثبتت فيها وجودها بحنكة ودراية ، وأصبحت عنصراً أساسياً في العلاقات السياسية بين القبائل ، سواء كان ذلك بشكل مباشر أم غير مباشر ، وقد حرصت المرأة على القتال ، وإثارة الهمم ، ورافقت الرجال في ميادين الحرب ؛ لأن حياة العربي قائمة على الصراع ، وكانت المرأة تساندهم إذ وقفت جنباً إلى جنب مع الرجال ، تضرب بالدف خلفهم ، وتحريضهم عندما يلتقي الفريقان ، وتداوي الجرحى ، وتسقي المقاتلين ، حتى إذا رأت النساء دائرة الحرب أو شكن أن تدور على قبيلتهن ، يحسرن البراقع ، ويكشفن الشعور ؛ ليستثنن حمية الرجال ، ويدفعنهم إلى الدفاع عنهن ، وحمائتهن من السبي (دويكات ، ٢٠١٣، ص ٤٧-٤٨).

وقد امتلكت المرأة الحكم والإدارة المركزية في مجتمعها مما جعلها قيادية لها نشاطات اجتماعية وسياسية واقتصادية وأدبية سواء أكانت ملكة حاكمة أو كاهنة تتحكم بالتوجيه والإرشاد الروحي أو كونها سيدة قبيلة ، كما سمح لها أن تشارك في الأحلاف التي تعقد بينهم كي تقود تحالفات قبلية كبيرة ، قادة أبناء قبيلتها بحروب حققت فيها انتصارات كبيرة ، وكونت المرأة ذاتها المركزية بشق طريقها نحو التمركز والمحورية . الذي يقف على وجود المرأة من حيث وجودها الإنساني (مرزوق، ٢٠١٣، ص٣، الطائي، ٢٠١٩، ص ١٧٩٨).

ونالت المرأة المنزلة الممتازة لم يجد الأشراف والملوك بأساً من التكنى بها والانتساب إليها ، فالمرأة موجودة في كل مناسبة لأنها تستحق العناية والتضحية والتوجه إليها بكريم الصفات وجيل الفعّال ، فهي تقوي الصلات بين القبائل (الهاشمي، ١٩٦٠، ص ٥٥-٥٦) ، واستطاعت المرأة بذكائها العظيم ودقة إحساسها أن تثير الإعجاب لكونها رئيسة وحاكمة وقائدة جيوش وذات سياسة قوية مما يدل على مكانتها المهمة لا يكاد يضاهاها أحد ، وقد شهد التاريخ على براعتهم وشجاعتهم الفائقة في بعض الغزوات (منصور، ٢٠٠٩، ص ٣٥ ، الرحيوي ، ٢٠١٤، ص ١١٧).

إن المرأة كانت لها إسهامات وإنجازات عظيمة عبر العصور القديمة ، وخاصة فيما قدمته المرأة في جوانب متعددة منها الشعر والنثر والنقد ، وكانت المرأة مشرقة ومنيرة وبهية ، وجديرة بأن تعيد صياغتها بشكل يليق بمكانتها الاجتماعية لتحتل الصدارة في تاريخ الأمة

العربية ، وظهر للمرأة الاحترام والتقدير الذي تستحقه في المجتمع ، وهكذا تطورت سلطة المرأة التي هي في الحقيقة حق طبيعي لها ، وانتهت مرحلة سوء تعامل المرأة وامتهانها من قبل الطرف الآخر (حسين، ٢٠١٥، ص ٢١٩-٢٢١، الإعلان، ٢٠١٢، ص ٧٤).

مثلت المرأة المجتمع العربي في ذلك العصر ، لأنها تُعد جزءاً مهماً ومكماً في الحياة الجاهلية ، وكانت لها حياتها المميزة ومكانتها الكبيرة وهذا الأمر لا غرابة فيه فهي الدعامة الثانية للمجتمع التي تقوم عليها حياة البشر ، والمرأة ليست مضطهدة أو ممتهنة كما يصورها البعض منهم عند أكثر عرب الجاهلية ، فقد كان للمرأة رأي في كل ما يدور في مجتمعها ، ولا سيما فيما يخص حياتها وزواجها ، وهذا دليل واضح على ما كانت تتمتع به بعض النساء العربيات في الجاهلية من تطور فكري عميق ، وفيما يتعلق بحضور المرأة في الأساطير ارتبطت المرأة بمعتقدات عديدة ومنها الحكايات الخرافية وغيرها (الصالح، ٢٠٠٧، ص ١٣٣ ، رشيد ، ٢٠١٤، ص ١٩٠ ، لمياء وسهيلة ، ٢٠١٨، ص ٩).

تُعد المرأة رافداً مهماً لها أسس ومقومات تُسهم في إغناء الخطاب النسوي وتوسيع أبعاده وتنويعها ؛ لأن صورتها تمثل واقع الأنا والآخر من خلال مشاركتها في كافة مجالات الحياة ، فهي تشكل عالمها في بناء النص ومكوناً أساسياً للخطاب ، وتتميز بحضورها المؤثر في مضمونها ، ومشاركتها في بناء الخطاب على وجوه متنوعة ، وبمستويات متعددة ، من خلال أدوارها وأوضاعها الاجتماعية المختلفة ؛ وذلك وفق طبيعة التكوين الثقافي والاجتماعي للمجتمعات ، وقدرتها على البوح بمكنونها والتعبير عن شجونها وشؤونها في قضايا نسوية خاصة ، أو قضايا عامة مختلفة ذات علاقة بمحيطها الاجتماعي والسياسي ، الذي يتمحور حول وعي المرأة بذاتها ودورها في الحياة بأبعادها المختلفة ، وتستند المرأة إلى مرجعيات متعددة ، ذات صلة وثيقة بمخزونها الثقافي بكل مكوناته المادية والروحية ، التي شكلتها العادات والتقاليد والأعراف والبيئة الاجتماعية ؛ أي أن المرأة في هذا السياق غدت ذات صوت ثقافي اجتماعي غني بمخزونه التراكمي (القيسي، ٢٠١٦، ص ١٢-١٣-١٤) .

الجانب الثاني

الإطار التطبيقي :

وسنعرض طائفة من الانموذجات التطبيقية التي تُعد عنصراً أساسياً في تكون الدرس النقدي الثقافي للنصوص النثرية الجاهلية، ومنها : الخطابة ، وسجع الكهان ، والوصايا ، والأمثال :

أولاً : الخطابة

نسق انزال الهامش منزلة المركز

يمثل عالم المرأة وكيفية اختيارها ، فالمرأة في الثقافة العربية هي كائن هامشي وليست مركزاً ، فالثقافة العربية في مجملها ثقافة ذكورية ، إذ تحظى المرأة في الأدب العربي ، بمكانة تليق لكونها كائنًا ضعيفًا ، وينبغي على الرجل أن يختار لبيته امرأة ذات نسب وحسب وصفات وجمال كي تؤدي دورها في تكوين أسرة يحلم العربي بتكوينها ، ولقد تناولت في هذا المبحث مكانة المرأة في العصر الجاهلي ، وبالذات مكانتها الفكرية واللغوية والبلاغية التي مكنتها من إظهار تمكنها من الردود في أثناء المواقف الاجتماعية ولاسيما في الخطوبة والزواج والزيارات الاجتماعية وغيرها، ومنها ما سنعرضه في هذا النص الذي يعود لـ (هند بنت الخُس الإيادية)* التي جاءها رجل يستشيرها في أمر امرأة يريد أن يتزوجها، فقالت له خُطبة مفادها ذكر مواصفات المرأة الحسنة ، فقالت : ((انظُر رَمْكَاءَ جَسِيمَةً ، أو بيضاء وَسِيمَةً ، في بَيْتِ جَدِّ ، أو بَيْتِ حَدِّ ، أو بَيْتِ عَزِّ ، قال : ما تركت من النساء شيئاً ، قالت : بلى ، شرَّ النساء تركتُ ، السُّوَيْدَاء المِمرَّاض ، والحُمَيْرَاء المَحْيَاض الكَثيرة المِطَاطِ . وقيل لها : أي النساء أسوأ ؟ قالت : التي تقعد بالفناء ، وتملأ الإناء ، وتمنق ما في السقاء ، قيل : فأى النساء أفضل ؟ قالت : التي إذا مشت أعبرت ، وإذا نطقت صرصرت ، متوركة جارية ، في بطنها جارية ، يتبعها جارية ... قالوا : فأى النساء أحب إليك ؟ قالت : البيضاء العطرة ، كأنها ليلة قمر ، قيل : فأى النساء أبغض إليك ؟ قالت : العنقصة القصيرة ، التي إن استنطقت سكتت ، وإن سكَّت عنها نطقت ... قال : فأى النساء خير ؟ قالت : التي في بطنها غلام ، تحمل على وركها غلامًا ، يمشي وراءها غلام ...))(صفوت، ١٩٣٣، ص ٣١٢-٣١٣-٣١٤، البغدادي، ١٩٧٦، ص ٢٤٣/٢) .

كثيراً ما قرأنا عن دور المرأة في الأدب الجاهلي ولاسيما النثر ، واليوم نجسد ذلك ونلاحظه في خطب قائلتها النساء في مواقف اجتماعية مختلفة ، منها ما نجده في خطبة هند بنت الخُس ، وقد ضمت الخطبة عدة أنساق ثقافية مضمرة ، منها : نسق الأصل والنسب وهذا ما بدأت بنت الخُس الإيادية خطبتها به ، وأكدت على أن عليه أن يختار

امراً، واهتمت بقضية مواصفات المرأة الجسدية التي هي من جذور عربية ذات نسب معروف حيث قالت (انظر رمكاء جسيمة / أو بيضاء وسيمة / في بيت جد / أو بيت حد / أو بيت عز)، والنسق الثاني نسق الكراهية ودلالة عباراتها التي كانت تحمل الصفات التي يجب على الرجل أن يبتعد عنها في اختياره للمرأة حتى تكون زوجة له فقالت (شر النساء تركت / السويداء الممرض / والحميراء المحياض الكثيرة المظاظ) ، والنسق الثالث نسق إظهار العيوب الأنثوية الذي يظهر بمعنى واضح داخل الإجابة التي طرحتها القائلة بنت الحُسّ (إبراهيم، ٢٠٠٧، ص ١٥) في العبارات التي قالتها (التي تقعد بالفناء / وتملأ الإناء / وتمدق ما في السقاء) ، والنسق الرابع نسق الحسن والجمال الوارد في المعاني التي ذكرتها في السؤال الذي قيل لها (فأي النساء أفضل) فذكرت الصفات الحسنة التي توجد في المرأة الحسنة حيث قالت (التي إذا مشت أغبرت / وإذا نطقت صرصرت / متوركة جارية / في بطنها جارية / يتبعها جارية) ، والنسق الخامس نسق الاستعلام عن المرأة الجميلة والقبیحة، إذ طرحت على ابنة الحُسّ سؤال مفاده (أي النساء أحب إليك) فجاء جوابها معبراً عن الفكرة التي تمخضت عن خبرتها وحكمتها في الحياة وفي شؤون النساء، فنراها ركزت على الوصف الشكلي للمرأة بحيث شبهتها بالقمر أو بليلة مقمرة دلالة على الجمال والحسن الظاهري فقالت ما مضمونه (البيضاء العطرة / كأنها ليلة قمر) وعندما سألت عن أبغض النساء إليها، ذكرت الصفات الأخلاقية للمرأة بحيث أكدت على أن بعض النساء بغيضات في أسلوبهن وحديثهن ولا يملكن شخصية حكيمة فقالت (العنّفِص القصيرة / التي إن استنطقتها سكتت / وإن سكت عنها نطقت) ، وعندما سألت عما في داخل المرأة، فأجابت هند قائلة (التي في بطنها غلام / تحمل على وركها غلاماً / يمشي وراءها غلام) ، وبهذا نلاحظ كيف نظرت ابنة الحُسّ إلى النساء إذ تارة تؤكد على الشكل الأنثوي للمرأة ، وتارة تذكر الصفات الأخلاقية للمرأة .

نورد على النسق الظاهر نفسه خطبة من كلام عصام الكندية أم إياس بنت عوف بن محم الشيباني، إذ قالت: ((لما بلغ الحارث بن عمرو ملك كِنْدَةَ جَمَالَ أم إياس بنت عوف بن مُحَلَم الشَّيبَانِي، وَكَمَالَهَا وَقَوَّةَ عَقْلِهَا ، أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا ، فَدَعَا امْرَأَةً مِنْ كِنْدَةَ، يُقَالُ لَهَا عِصَام ، ذَاتَ عَقْلٍ وَلِسَانٍ ، وَأَدَبٍ وَبَيَانٍ ، وَقَالَ لَهَا : اذْهَبِي حَتَّى تَعْلَمِي لِي عِلْمَ ابْنَةِ عَوْفٍ، فَمَضَتْ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى أُمِّهَا أُمَامَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ ، فَأَعْلَمَتْهَا مَا قَدِمْتَ لَهُ، فَأَرْسَلَتْ أُمَامَةَ إِلَى ابْنَتِهَا وَقَالَتْ : أَيُّ بِنْتِيَّةٍ ، هَذِهِ خَالَتُكَ أَتَتْ إِلَيْكَ لِتَنْتَظِرَ إِلَيَّ بَعْضَ شَأْنِكَ، فَلَا تَسْتُرِي عَنْهَا شَيْئاً أَرَادْتَ النَّظَرَ إِلَيْهِ، مِنْ وَجْهِ وَخَلْقٍ ، وَنَاطِقِيهَا فِيمَا اسْتَنْطَقْتِكِ فِيهِ، فَدَخَلَتْ عِصَامَ عَلَيْهَا، فَنَظَرْتُ إِلَى مَا لَمْ تَرَ عَيْنُهَا مِثْلَهُ قَطُّ بِهَجَّةٍ وَحَسَنًا وَجَمَالًا، فَإِذَا هِيَ أَكْمَلُ

الناس عقلاً، وأفصحهم لساناً، فخرجت من عندها وهي تقول: (تَرَكَ الخِدَاعَ مَنْ كَشَفَ القِنَاعَ) فذهبت مثلاً، ثم أقبلت إلى الحارث فقال لها: (ما وراءك يا عِصَامُ)؟ فأرسلها مثلاً، قالت: (صَرَخَ المَحْضُ عن الزُّبْدِ)، فذهبت مثلاً. قال أخبريني، قالت: أخبرك صدقاً وحَقّاً: رأيت جبهة كالمراة الصَّقيلة، يزينها شعر خالك، كأذنان الخيل المضفورة، إن أرسلته خلته السلاسل، وإن مشطته قلت عناقيد كرم جلاها الوابل، وحاجبين كأنهما خطأ بقلم، أو سودا بحمم قد تقوسا على عيني الطيبة العبهرة، التي لم يرعها قانص، ولم يُدعِرها قسورة، بينهما أنف كحد السيف المصقول، لم يخنس به قصر، ولم يَمْضِ به طول، حفت به وجنتان كالأزجوان، في بياض محض كالجمان، شق فيهما كالحاتم، لذيق المبتسم، فيه ثنايا غر، ذوات أشر، وأسنان تبدو كالدرر، وريق كالخمر له نشر الروض بالسحر، يتقلب فيه لسان، ذو فصاحة وبيان، يحركه عقل وافر، وجواب حاضر، تلتقي دونه شفتان حراوان كالورد، يجلبان ريقاً كالشهد، تحت ذلك عنق كإبريق الفضة، ركب في صدر كصدر تمثال دمية، يتصل بها عضدان ممثلان لحمًا، مكنتزان شحماً، وذراعان ليس فيهما عظم يحس، ولا عرق يجس، رُكبت فيهما كغمان، دقيق قصبهما، لين عصبهما، تُعقد إن شئت منهما الأنامل، وتُرُكِب الفصوص في حفر المفاصل، وقد تريخ في صدرها حقان، كأنهما رمانتان، يخرقان عليها ثيابها، تحت ذلك بطن طوي كطي القباطي المدمجة، كسي عكنا كالقراطيس المدرجة تحيط تلك العكن بسرة كمدهن العاج المجلو، خلف ذلك ظهر كالجدول، ينتهي إلى خصر، لولا رحمة الله لا نبت، تحته كفل يُفعدا إذا نهضت، ويُنهضها إذا قعدت، كأنه دِعْص رمل، لبدّه سقوط الطل، يحمله فخذان لقاوان، كأنهما نضيد الجمان، تحتها ساقان، خدلتان كالبردي، وشيتا بشعر أسود، كأنه حلق الرزد، يحمل ذلك قدامان، كحدو اللسان، فتبارك الله، مع صغرهما كيف تطيقان حمل ما فوقهما، فأما ما سوى ذلك. فتركت أن أصفه، غير أنه أحسن ما وصفه واصف بنظم أو نثر، فأرسل الملك إلى أبيها فخطبها، فزوجها إياها (صفوت، ١٩٣٣، ص ١/٢٩٤-٢٩٥-٢٩٦، الأندلسي، ١٩٨٣، ص ٧/١١٩-١٢٠، النيسابوري، ١٩٨٧، ص ٢/٢١٦).

إذا أردنا استنطاق النص المائل أمامنا لأبد من معرفة الدواعي التي أنتجت لنا النص، ونعلم أن العرب كانوا يتحبيون إلى النساء ويلتزمون بمعاشرتهن والتغزل بهن، ولقد سمع ملك الحيرة الحارث بن عمرو عن جمال وحسن وعقل ابنت عوف فأراد الزواج بها، وطلب من امرأة كندية يُقال لها عصام الكندية أن تذهب إلى بيت البنت، وترى في أمرها حتى يتزوجها، وضم النص أنساقاً ثقافية مضمرة خلف العبارات التي تكلمت بها المرأة الكندية

بعد أن رجعت إلى الملك ، ومن هذه الأنساق ، منها نسق الإفصاح عن المرأة بدلالة ما قالته من ألفاظ التي حملت مواصفات الأنوثة المتمتعة بها البنت كالشعر وسواد الحاجب وغيرها من المواصفات التي انمازت بها المرأة الجاهلية في ذلك العصر ، فقالت (رأيت جبهة كالمرأة الصقيلة / يزينها شعر حالك / كأذنان الخيل المضفورة / إن أرسلته خلته السلاسل / وإن مشطته قلت عناقيد كرم جلاها الوابل / وحاجبين كأنهما خطا بقلم / أو سودا بحمم قد تقوسا على عيني الطيبة العبهة / التي لم يرعها قانص / ولم يذعرها قسورة / بينهما أنف كحد السيف المصقول / لم يخنس به قصر / ولم يمض به طول / حفت به وجنتان كالأرجوان / في بياض محض كالجمان) ، والنسق الثاني نسق الجمال الظاهري التي راحت تذكر كل أوصاف المرأة وتفاصيلها الدقيقة ، حيث انمازت الفتاة الجميلة بالذكاء والفتنة وحسن المظهر ، فالعبارات التي تكلمت بها الكندية للملك كانت تؤكد على الجانب الحسي والشكلي للمرأة ، فقالت (شق فيه فم كالخاتم / لذيد المبتسم / فيه ثنايا غر / نوات أشر / وأسنان تبدو كالدرر / وريق كالخمر له نشر الروض بالسحر / يتقلب فيه لسان / ذو فصاحة وبيان / يحركه عقل وافر / وجواب حاضر / تلتقي دونه شفتان حمران كالورد / يجلبان ريقاً كالشهد / تحت ذلك عنق كإبريق الفضة / ركب في صدر كصدر تمثال دمية / يتصل بها عضدان ممتلئان لحمًا / مكتئزان شحمًا / وذراعان ليس فيهما عظم يحس / ولا عرق يجس / ركبت فيهما كفان / دقيق قصبهما / لين عصبهما / تعقد إن شئت منهما الأنامل / وتركب الفصوص في حفر المفاصل / وقد تربع في صدرها حقان / كأنهما رمانتان / يخرقان عليها ثيابها / تحت ذلك بطن طوى كطي القباطي المدمجة / كسي عكناً كالقراطيس المدرجة تحيط تلك العكن بسرة كمدهن العاج المجلو / خلف ذلك ظهر كالجدول / ينتهي إلى خصر / لولا رحمة الله لانتبر / تحته كفل يقعدها إذا نهضت / وينهضها إذا قعدت / كأنه دعص رمل / لبدته سقوط الطل / يحمله فخذان لفاوان / كأنهما نضيد الجمان / تحتها ساقان / خدلتان كالبردي / وشيتا بشعر أسود / كأنه حلق الزرد / يحمل ذلك قدمان / كحذو اللسان / فتبارك الله / مع صغرهما كيف تطيقان حمل ما فوقهما / فأما ما سوى ذلك / فتركت أن أصفه / غير أنه أحسن ما وصفه واصف بنظم أو نثر / فأرسل الملك إلى أبيها فخطبها / فزوجه إياها) وفي نهاية الخطبة عندما انتهت عصام الكندية من الوصف الخارجي للمرأة متابعة كل جزء من أجزاء جسدها ، واصفةً للملك جمالها الخلاب ، فطلب الملك يدها ووافق أبوها على زواجها .

ثانيًا : سجع الكهان

أولًا : نسق المنزلة الاجتماعية الرفيعة

إن البيوتات العربية تفتخر بالحسب والنسب ، فعندما تكون عندهم بنت ويأتون لخطبتها ، يسألون عن أصلها وفصلها للفتاة وكذلك عن الشاب الخاطب الذي يريد هذه البنت ، وفي هذه الخطبة تتكلم الكاهنة الشعثاء عن اخوتها الذين تقدموا إلى خود بنت مطرود، ونسق المنزلة الاجتماعية ظاهرًا في الخطبة إذ إن المتكلمة الكاهنة الشعثاء * تتكلم عن المكانة الاجتماعية لكل واحد من أخوتها وبماذا يتميزون ، فقالت : ((كانت عَئمة بنتُ مطرود البجليّة ذات عقل ورأي مُستَمَع في قومها ، وكانت لها أخت يقال لها خَوْد ، وكانت ذات جمال وميسم وعقل ، فخطب سبعة إخوة غلّمة من بطن الأزْد خودا إلى أبيها ، فأثّوه وعليهم الخُلل اليمانية ، وتحتهم النجائب الفُرّه ، فقالوا : نحن بنو مالك بن عُفيلة ذي النخيين ، فقال لهم : انزلوا على الماء ، فنزلوا ليلتهم ، ثم أصبحوا غادين في الخُلل والهيئة ، ومعهم ربيبة لهم يقال لها الشعثاء : كاهنة ، فمروا بوسيدها يتعرضون لها ، وكلهم وسيم جميل ، وخرج أبوها ، فجلسوا إليه ، فرحب بهم ، فقالوا : بلغنا أن لك بنتًا ، ونحن كما ترى شباب ، وكلنا يمتنع الجانب ، ويمتنع الراغب ، فقال أبوها : كلكم خيار ، فأقيموا نرى رأينا ، ثم دخل على ابنته ، فقال : ما ترين ، فقد أتاك هؤلاء القوم ؟ فقالت : أنكحني على قدي ، ولا تشطط في مهري ، فإن تُخطئني أحلامهم ، لا تخطئني أجسامهم ، لعلي أصيب ولدًا ، وأكثر عددًا ، فخرج أبوها ، فقال : أخبروني عن أفضلكم .

قالت ربيبتهم الشعثاء الكاهنة : اسمع أخبرك عنهم : هم إخوة ، وكلهم أسوة . أما الكبير فمالك ، جريء فاتك ، يتعب السنايك ، ويستصغر المهالك . وأما الذي يليه فالعمر ، بحر عمر ، يقصر دونه الفخر ، نهد ، صفر . وأما الذي يليه فعلمة ، صليب المعجمة ، منيع المشنمة ، قليل الجمجمة . وأما الذي يليه فعاصم ، سيد ناعم ، جلد صارم ، أبي حازم ، جيشه غانم ، وجاره سالم . وأما الذي يليه فتواب ، سريع الجواب ، عتيد الصواب ، كريم النصاب ، كلئث الغاب . وأما الذي يليه فمدرك ، بدول لما يملك ، عزوب عما يترك ، يفني ويهلك . وأما الذي يليه فجدل ، لقرنه مجدل ، مقل لما يحمل ، يعطي ويبذل ، وعن عدوه لا ينكل .

فشاورت أختها فيهم ، فقالت أختها عئمة : ترى الفتيان كالنخل ، وما يُدريك ما الدخل ؟ اسمعي مني كلمة ، إن شرّ الغريبة يُعلن ، وخيرها يُدفن ، انكحي في قومك ولا تعزرك الأجسام ، فلم تقبل منها ، وبعثت إلى أبيها : أنكحني مدرگا ، فأنكحها أبوها على مائة ناقة ورعاتها ، وحملها مدرك ، فلم تلبث عنده إلا قليلاً ، حتى صبّحهم فوارس من بني مالك بن

كِنَانَةَ ، فاقْتَتَلُوا سَاعَةَ ، ثُمَّ إِنَّ زَوْجَهَا وَإِخْوَتَهُ وَبَنِي عَامِرٍ انْكَشَفُوا ، فَسَبَّوْهَا فَيَمِينُ سَبَّوْا ، فَبَيْنَمَا هِيَ تَسِيرُ بَكَتْ ، فَقَالُوا : مَا يُبْكِيكَ ؟ أَعْلَى فِرَاقِ زَوْجِكَ ؟ قَالَتْ : قَبَحَهُ اللَّهُ ، قَالُوا : لَقَدْ كَانَ جَمِيلًا ، قَالَتْ : قَبَحَ اللَّهُ جَمَالًا لَا نَنْفَعُ مَعَهُ ، إِنَّمَا أُبْكِي عَلَى عَصِيَانِي أُخْتِي ، وَقَوْلِهَا : تَرَى الْفَتِيَانَ كَالنَّخْلِ ، وَمَا يَدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ ، وَأَخْبَرْتَهُمْ كَيْفَ خَطَبَوْهَا ، فَقَالَ لَهَا رَجُلٌ مِنْهُمْ يُكْنَى أَبُو نُؤَاسٍ شَابٌ أَسْوَدٌ أَفْوَهُ مُضْطَرِبُ الْخَلْقِ : أَنْتَرَضَيْنَ بِي ، عَلَى أَنْ أَمْنَعَكَ مِنْ ذَنْبِ الْعَرَبِ ؟ فَقَالَتْ لِأَصْحَابِهِ : أَكْذَلِكَ هُوَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، إِنَّهُ مَعَ مَا تَرَيْنَ لَيَمْنَعُ الْخَلِيلَةَ ، وَتَتَّقِيهِ الْقَبِيلَةَ ، قَالَتْ : هَذَا أَجْمَلُ جَمَالٍ ، وَأَكْمَلُ كَمَالٍ ، قَدْ رَضِيْتُ بِهِ ، فَزَوْجُوهَا مِنْهُ)) (صفوت، ١٩٣٣، ص ١/٣٣٩-٣٤٠-٣٤١-٣٤٢ ، النيسابوري، ١٩٨٧، ص ١/١٤٤-١٤٥).

يدرك المطلع على هذا النص أنه جاء تحت ظروف اجتماعية خاصة بالكاهنة والبيت الذي أقبلت عليه راجية خطبة ابنتهم التي تُكنى بـ (خود) وهي ذات جمال وعقل وأخلاق فضلاً عن نسبها المعروف وحسبها ، ويضم هذا النص أنساق ثقافية مضمرة تكمن خلف العبارات المعبرة عن الواقع الذي نبثق عنه النص ، ومن هذه الأنساق نسق الغنى والرفعة التي ظهرت عندما أقبل الأخوة إلى بيت الفتاه لخطبتها فيقول النص (فخطب سبعة إخوة غلماً من بطن الأزدي خوداً إلى أبيها / فأتوه وعليهم الحلل اليمانية / وتحتهم النجائب الفره) وهذه الجزئية من الخطبة تُبين المكانة والغنى الذي يتمتع به هؤلاء الأخوة ، والنسق الثاني نسق الفخر بالقبيلة الظاهر خلف كلماتهم (فقالوا: نحن بنو مالك بن غفيلة ذي النحيين) ، والنسق الثالث نسق حسن الضيافة والاستقبال وهذا النسق من صفات العرب وشمائهم اللاتي انمازوا بها من دون الأمم الأخرى ، فهم يرحبون بالضيف ويحترمونه ويغدقون عليه مما لديهم ، وهذا واضح في النص (فقال لهم : انزلوا على الماء / فنزلوا ليلتهم / ثم أصبحوا غادين في الحلل والهيئة / ومعهم ربيبة لهم يقال لها الشعثاء : كاهنة / فمروا بوصيدها يتعرضون لها / وكلهم وسيم جميل / وخرج أبوها / فجلسوا إليه / فرحب بهم / فقالوا : بلغنا أن لك بنتاً / ونحن كما ترى شباب / وكلنا يمنع الجانب / ويمنح الراغب / فقال أبوها : كلكم خيار / فأقيموا نرى رأينا) ، النسق الرابع نسق الاستشارة وهو النسق الذي راح فيه الأب يستشير أبنته من أجل أخذ موافقتها في القبول في واحد من هؤلاء الخطاب ، وسار الحوار بين الأب والبنت عن طريق التناوب وأخذ رأيها في الأمر فقال (ثم دخل على ابنته / فقال : ما ترين / فقد أتاك هؤلاء القوم ؟ فقالت : أنكحني على قدرتي / ولا تشطط في مهري / فإن تخطئني أحلامهم / لا تخطئني أجسامهم / لعلني أصيب ولدًا / وأكثر عددًا) ، والنسق الخامس نسق إظهار الحقائق والصفات وقد بين هذا النسق ما للأخوة من مميزات وأخلاق

وصفات يتحلون فيها ، وكانت المتكلمة الكاهنة الشعثاء التي تكون رببيتهم التي تعرفهم حق المعرفة ، فقالت في حق كل واحد منهم ما يُثبت حقيقته ، فبدأت بالكبير واسمه مالك وقالت عنه (أما الكبير فمالك / جريء فاتك / يتعب السنايك / ويستصغر المهالك) ، والثاني كان كريم ولقد شبهته بالبحر العميق والواسع ويحق الفخر به ؛ لأنه مثل الأسد شجاعة فقالت عنه (وأما الذي يليه فالغمر / بحر غمر / يقصر دونه الفخر / نهد / صقر) ، ثم قالت عن الباقيين كل ما يتميزون بها (وأما الذي يليه فعلقمة / صليب المعجمة / منيع المشتمة / قليل الجمجمة / وأما الذي يليه فعاصم / سيد ناعم / جلد صارم / أبي حازم / جيشه غانم / وجاره سالم / وأما الذي يليه فثواب / سريع الجواب / عتيد الصواب / كريم النصاب / كليث الغاب / وأما الذي يليه فمدرك / بذول لما يملك / عزوب عما يترك / يفني ويهلك / وأما الذي يليه فجنديل / لقرنه مجدل / مقل لما يحمل / يعطي ويبذل / وعن عدوه لا ينكل) وبعد هذا العرض للإخوة فسحت المجال لأن يخبروا البنات حتى تختار من تريد منهم ووقع الاختيار على مُدرك وتزوجت به ، فتحول السياق داخل بنية النصّ إلى نسق آخر وهو باستشارة الأخت لأختها عثمة والنسق المضمّر الذي ضمه كلام عثمة ، هو نسق النصيحة إذ قالت لأختها مثلاً يُضرب في الرجل الذي له منظر ولا مخبر له (فشاورت أختها فيهم / فقالت أختها عثمة : ترى الفتيان كالنخل / وما يدريك ما الدخل ؟ اسمعي مني كلمة / إن شر الغربية يعلن / وخيرها يدفن / انكحي في قومك ولا تغررك الأجسام / فلم تقبل منها) ومفاد كلام الأخت عثمة ذات العقل وحسن الخلق أن ترفض الخطاب جميعهم ولا تقبل بهم ؛ لأنهم غرباء عليها، ونصحتها أن تتزوج من قومها ولا تغتر بالأجسام ، وحدث لها ما حدث عندما لم تسمع نصيحة أختها ، والنسق السادس نسق الندم فقد ندمت خود على زواجها من مُدرك من بني عامر ، عندما سبوا وأخذوها سبية ولم يدافع عنها أحد ، فبكت ودار حوار بينها وبين أحدهم ، وسألوها لماذا تبكين ؟ أعلى فراق زوجك ؟ قالت: كلا بل على عدم سماعي لنصيحة أختي عثمة (وبعثت إلى أبيها : أنكحني مدركا / فأنكحها أبوها على مائة ناقة ورعاتها / وحملها مدرك / فلم تلبث عنده إلا قليلاً / حتى صبجهم فوارس من بني مالك بن كنانة / فاقتتلوا ساعة / ثم إن زوجها وإخوته وبني عامر انكشفوا / فسبوا فيمن سبوا / فبينما هي تسير بكت / فقالوا: ما يبكيك / أعلى فراق زوجك ؟ قالت : قبحه الله / قالوا : لقد كان جميلاً ! قالت : قبح الله جمالاً لا نفع معه / إنما أبكي على عصياني أختي / وقولها : ترى الفتيان كالنخل / وما يدريك ما الدخل / وأخبرتهم كيف خطبواها) ، وتُختم الخطبة بقبول خود الزواج من رجل يُدعى أبا نواس شاب أسود أفوه مضطرب الخلق لكنه كان شجاع وحماها من ذئاب العرب (فقال لها رجل منهم يكنى أبا نواس شاب أسود أفوه مضطرب

الخلق : أترضين بي / على أن أمنعك من ذئاب العرب ؟ فقالت لأصحابه : أكذلك هو ؟ قالوا : نعم / إنه مع ما ترين ليمنع الحليلة / وتتيقه القبيلة / قالت : هذا أجمل جمال / وأكمل كمال / قد رضيت به / فزوجوها منه).

ثانياً : نسق التكهن والتبصر

يُعد هذا النسق من الأنساق الظاهرة التي انماز بها سجع الكهان في العصر الجاهلي ، فهم كانوا يملكون الحظوة والوجاهة والمكانة المرموقة بين الأفراد في المجتمع حيث كان العرب يلجؤون للكواهن في التكهن لهم ورؤية المستقبل ، حيث تضمن النص نسقاً وهو حضور الذات القوية / الضعيفة والمتألّمة ، ومن ذلك ما قالته الكاهنة ذي الخلصة تتكهن بما في بطن رقية بنت جشم ؛ حيث قالت : ((زعموا أن رُقِيَةَ بنت جُشَم بن معاوية ولدت نُمَيْرًا وَهَلَالًا وسواءة ، ثم اعتاطت ، فأنت كاهنة بذِي الخَلْصَةِ ، فأرثها بطنها ، وقالت : إني قد ولدت ثم اعْتَطْتُ ، فنظرت إليها وَمَسَّت بطنها ، وقالت : رَبُّ قَبَائِلَ فِرْقٍ ، وَمَجَالِسَ حَلْقٍ ، وظعن حُرْقُ ، في بطنك زُقُّ ، فلما مَخَضت بريعة بن عامر ، قالت : إني أعرف صَرْطِي بهلال ، أي هو غلام ، كما أن هلالاً كان غلاماً)) (صفوت، ١٩٣٣، ص ١/٣٤٩-٣٥٠ ، النيسابوري، ١٩٨٧، ص ١/٤٩١).

ترد الأنساق الثقافية في النصوص النثرية إذ تُشكل المرأة عنصراً مركزياً وبعثاً يدور حوله النصّ ، ومن ذلك نجد هذا النص الذي أماننا يضم نسقاً مضمراً هو نسق قراءة الطالع، فبشرت ذي الخلصة المرأة بأنها تحمل في بطنها غلاماً وعندما وضعت كان كذلك ، إذ إن المرأة في السابق لم تحمل غلاماً ، فقالت بعبارات ساد عليها السجع (رب قبائل فرق / ومجالس حلق / وظعن حرق / في بطنك زق / فلما مخضت بريعة بن عامر / قالت : إني أعرف صرطي بهلال / أي هو غلام / كما أن هلالاً كان غلاماً) وكان تنبؤ الكاهنة صحيح.

إن للكواهن قوة خارقة تمكنهن من قراءة المستقبل وكشف الطالع ومعرفة الغيب، وتحت هذا المفهوم نقدم نصّ الكاهنة طريفة الخير* التي تتكهن بسيل العرم وخراب سد مأرب ، إذ قالت : ((أَلقت طريفة الكاهنة إلى عمرو بن عامر الذي يقال له مُزَيْقِيَاء بن ماء السماء* ، وكانت قد رأت في كهانتها أن سدَّ مَأْرِبَ سَيَخْرَبُ ، وأنه سيأتي سيلُ العَرِمِ ، فَيُخْرَبُ الجنيتين ، فباع عمرو بن عامر أمواله ، وسار هو وقومه حتى انتهوا إلى مكة ، فأقاموا بمكة وما حولها ، فأصابتهُم الحُمى ، وكانوا ببلد لا يدرون فيه ما الحمى ، فدَعَوْا طريفة فشكوا إليها الذي أصابهم ، فقالت لهم : قد أصابني الذي تَشْكُون ، وهو مُفْرَقٌ بيننا . قالوا : فماذا تأمرين ؟ قالت : من كان منكم ذا هَمٍّ بعيد ، وَجَمَلٍ شديد ، وَمَزَادٍ جديد ، فَلْيَلْحَقْ بقصر

عُمان المشيد ، فكانت أزد عُمان ، ثم قالت : من كان منكم ذا جلد وقسر ، وصبر على أزمت الدهر ، فعليه بالأراك من بطن مَر ، فكانت خُزاعة ، ثم قالت : من كان منكم يريد الراسيات في الوحل ، المُطعمات في المحل ، فليلق بيثرب ذات النخل ، فكانت الأوس والخزرج ، ثم قالت : من كان منكم يريد الحمر الحَمير ، والمُلك والتأثير ، ويلبس الديباج والحريز ، فليلق ببُصري وُغوير ، (وهما من أرض الشام) ، فكان الذين سكنوها من آل جُفنة من غسان ، ثم قالت : من كان منكم يريد الثياب الرقاق ، والخيل العتاق ، وكنوز الأرزاق ، والدّم المُهراق ، فليلق بأرض العراق ، فكان الذين سكنوها آل جَذيمة الأبرش ، ومن كان بالحيرة وآل مُحرق)) (صفوت، ١٩٣٣، ص ١/٣٤٦-٣٤٧، النيسابوري، ١٩٨٧، ص ١/٢٨٧-٢٨٨).

النص عبارة عن قراءة لما سيحدث في المستقبل ، ولقد أدركت الكاهنة حقيقة الأمر وتنبأت به قبل حدوثه ، وبأنها تتلقى الإشارات والعلامات التي تنذر بوقوع حدث جسيم يصيب هذا السد ، لذا عليها القيام بالتحذير وإدراك الأمر قبل حدوثه (عبد العزيز ، ٢٠٢٠، ص ٩٠١)، فيضم النص عدّة أنساق مضمرة ؛ منها : نسق الرؤية الصادقة الواردة في الخطبة التي تكلمت بها الكاهنة مع عمرو بن ماء السماء إذ قالت (وكانت قد رأت في كهانتها أن سد مأرب سيخرب / وأنه سيأتي سيل العرم / فيخرب الجنتين / فباع عمرو بن عامر أمواله / وسار هو وقومه حتى انتهوا إلى مكة / فأقاموا بمكة وما حولها) ، والنسق الثاني نسق الأنا (الكاهنة) / الآخر (الجماعة)، فالتبصير الذي عرفت به الكاهنة وقراءتها للطالع حيث أصاب القوم الحمى وعرفت أن هذا المرض سيفرق بين القوم ويُبعدهم عن بعض إذ قالت (فأصابتهم الحمى / وكانوا ببلد لا يدرون فيه ما الحمى / فدعوا طريفة فشكوا إليها الذي أصابهم / فقالت لهم : قد أصابني الذي تشكون / وهو مفرق بيننا / قالوا : فماذا تأمرين ؟ قالت : من كان منكم ذا هم بعيد / وجمل شديد / ومزاد جديد / فليلق بقصر عمان المشيد/ فكانت أزد عمان) ولقد أكثرت من العبارات المسجوعة حتى تصف الحالة وترشدهم إلى طريق الشفاء والابتعاد عن الأرض التي تمرضوا فيها، والنسق الثالث نسق الصبر والعزم في المواجهة والتجدد على المصائب حتى يعبرون هذه المحنة وهم أقوياء أشداء فقالت (من كان منكم ذا جلد وقسر/ وصبر على أزمت الدهر/ فعليه بالأراك من بطن مر/ فكانت خزاعة) وبدأت ترشدهم على المناطق القريبة من مكة حتى لا يصيبهم المرض فقالت لهم (من كان منكم يريد الراسيات في الوحل / المطاعم في المحل / فليلق بيثرب ذات النخل / فكانت الأوس والخزرج) ، والنسق الرابع نسق العيش الرغيد / العيش الفقير، إذ قالت الجمل التي دلت على النعيم عن طريق كثرة الخمر والملك والتباهي باللبس

الحرير ، وهذا كله كان متوفرًا في أرض الشام بدلالة قولها (من كان منكم يريد الخمر الخمير/ والملك والتأمير/ ويلبس الديباج والحرير/ فليلحق ببصري وغوير/ وهما من أرض الشام) ، والنسق الخامس نسق التباهي / الخضوع ، وكل الخيرات والنعيم والترف كان متوفرًا في أرض العراق الوارد في العبارات التي قالتها الكاهنة لقومها (من كان منكم يريد الثياب الرقاق / والخيال العتاق / وكنوز الأرزاق / والدم المهرق / فليلحق بأرض العراق).

ثالثًا : الوصايا:

نسق حضور صدارة المركز (الأنثى) / الهامش بين القوة والضعف (الرجل)

هذا النسق ظاهرًا وجليًا على هذا الفن النثري الذي ذاع عند العرب ، إذ كان الآباء يوصون أبناءهم والأمهات يوصن بناتهن ، ومن ذلك ما نقرأه في وصية أمامة بنت الحارث* لابنتها أم إياس ، فلما حُملت إلى زوجها قالت لها أمها أمامة بنت الحارث : ((أي بنية : إن الوصية لو تُرِكت لفضلِ أدبٍ ، تُرِكتَ لذلك منك ، ولكنها تذكرة للغافل ، ومَعونة للعاقل ، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لِغني أبيها ، وشدة حاجتهما إليها ، كنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خُلِقن ، ولهنّ خُلِق الرجال : أي بنية : إنك فارقت الجوّ الذي منه خَرَجتِ ، وخَلَفتِ العُشّ الذي فيه دَرَجتِ ، إلى وَكْرٍ لم تعرفيه ، وقَرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيبًا ومليكًا ، فكوني له أمةً يكن لك عبدًا وشيكا . يا بنية : احلمي عني عشر خصال تكن لك دُخْرًا ونكْرًا ، الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموقع عينه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تَقع عينه منك على قبيح ، ولا يَشَمّ منك إلا أطيب ريح ، والكحل أحسن الحسن ، والماء أطيب الطيب المفقود ، والتعهد لوقت طعامه ، والهُدُو عنه عند منامه ، فإن حرارة الجوع مُلهبة ، وتنغيص النوم مَعْضبة ، والاحتفاظ ببيته وماله ، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله ، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير ، ولا تُثشي له سرًّا ، ولا تعصي له أمرًا ، فإنك إن أفشيت سرّه ، لم تأمني غدره ، وإن عصيت أمره ، أو غرت صدره ، ثم اتقي من ذلك الفرح إن كان ترّحًا ، والاكتئاب عنده إن كان فرحًا ، فإن الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكوني أشد ما تكونين له إعظامًا ، يكن أشد ما يكون لك إكرامًا ، وأشد ما تكونين له موافقة ، يكن أطول ما تكونين له مُرافقةً ، واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين ، حتى تُؤثري رضاه على رضاك ، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت ، والله يخيّر لك))

(صفوت، ١٩٣٣، ص ٢٩٦-٢٩٧، العجمي ، ١٩٩٧، ص٤٦٧-٤٦٨).

يلاحظ القارئ أو المطلع على هذا النصّ قوة المرأة وهيمنة سلطتها على ما حولها في حياتها الاجتماعية ، بدلالة ما قامت به أمانة بنت الحارث وهي توصي أبنيتها أن تخوض غمار الحياة الزوجية بكل ثقة واحترام والتزام ، حيث كانت تخاطب ابنتها خطاباً جمالياً يتسم بالمرادفة المضادة لما هو مُعلن، وهذا يقودنا إلى سلطة المرأة وسطوتها على الهيمنة الذكورية في العصر الجاهلي(كامل، ٢٠١٩، ص٦٧)، وهذا نلمسه في الأنساق المضمرة التي تضمنتها الوصية ؛ ومنها : نسق المعرفة والإدراك لقيمة الأدب حيث أوصت الأم ابنتها بلغة لين وعطف ومحبة أن تكن ابنتها ذات أدب رفيع وأنها أهلاً لخلق الحسن، ويبين الخطاب في العبارات الأولى من الوصية مصلحة البنت (الأنثى) التي تعلو وتغوق حاجة الرجل؛ لأنها تمك القيادة وتصريف الأمور الحياتية الزوجية ، وهي على قدر من الاستقامة والمسؤولية والاعتدال في الحياة الاجتماعية لذلك نراها أكدت على هذه الأفكار، فقالت (إن الوصية لو تركت لفضل أدب / تركت لذلك منك / ولكنها تذكرة للغافل / ومعونة للعاقل / ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغني أبويها / وشدة حاجتهما إليها / كنت أغنى الناس عنه ولكن النساء للرجال خلقن / ولهن خلق الرجال) ، والنسق الثاني نسق تغير المكان الوارد في عبارات الأم حيث قالت أنكِ مفارقة لبيت أبوك وذهابه لبيت جديد الذي ستصبح هي المالكة الوحيدة، فالعبارات حملت دلالة الوعظ للبنت واستعدادها لتقبل المكان الجديد والعيش فيه وهي متسلحة بالخلق الرفيع وصاغية للزوج مثلما كانت في بيت والديها فقالت (إنك فارقت الجو الذي منه خرجت / وخلفت العش الذي فيه درجت / إلى وكر لم تعرفيه / وقرين لم تألفيه / فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليئاً / فكوني له أمة يكن لك عبداً وشيكاً) ، والنسق الثالث نسق النصح وذكرتها لها النصائح التي لا غنى عنها لكل فتاة مقبلة على الزواج ، ومن ضمنها تفعيل دور البنت في البنية الاجتماعية للبيت وتحقيق الأهداف التي رسمتها الأم من أجل تقريب البنت من المركزية في إدارة البيت المبنية على حسن التعامل وتحقيق الهوية الأنثوية داخل الأسرة ، وفصلت القول في ذلك حتى أكملت وصيتها (يا بنية : احلمي عني عشر خصال تكن لك ذخراً وذكرًا / الصحبة بالقناعة / والمعاشرة بحسن السمع والطاعة / والتعهد لموقع عينه / والتفقد لموضع أنفه / فلا تقع عينه منك على قبيح / ولا يشم منك إلا طيب ريح / والكحل أحسن الحسن / والماء أطيب الطيب المفقود / والتعهد لوقت طعامه / والهدوء عنه عند منامه / فإن حرارة الجوع ملهبة / وتتغيص النوم مغضبة / والاحتفاظ ببيته وماله / والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله / فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير / والإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير / ولا تفشي له سرًا / ولا تعصي له أمرًا / فإنك إن أفشيت سره / لم تأمني غدره / وإن عصيت أمره / أو غرت صدره / ثم اتقي

من ذلك الفرح إن كان ترخًا / والاكنتاب عنده إن كان فرحًا) ، والنسق الرابع نسق الطاعة والاحترام تلك أهم الأمور التي يتمركز حولها حديث الأم ووصيتها لابنتها، وما حاجتنا اليوم لمثل هذه الوصايا التي تعيد لنا الأخلاق على مسير الحياة الزوجية والاجتماعية ، والحرص على إتباع الأمور واحتياجات الزوج في الأحوال المتغيرة فقالت (فإن الخصلة الأولى من التقصير / والثانية من التكدير / وكوني أشد ما تكونين له إعظامًا / يكن أشد ما يكون لك إكرامًا / وأشد ما تكونين له موافقة / يكن أطول ما تكونين له مرافقة / واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين / حتى تؤثر في رضاه على رضاك / وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت / والله يخير لك) .

ونص آخر يتضمن نصيحة جمانة بنت قيس بن زهير * لجدتها الربيع بن زياد فقالت : ((إذا كان قيسٌ أباي ، فإنك يا ربيعُ جدي ، وما يجب له من حق الأبوة عليّ ، إلا كالذي يجب عليك من حق البنوة لي ، والرأي الصحيح تبغته العناية ، وتجلي عن محضه النصيحة ، إنك قد ظلمت قيسًا بأخذ درعه ، وأجد مكافأته إياك سوء عزمه ، والمعارض منتصر ، والبادي أظلم ، وليس قيسٌ ممن يُخوف بالوعيد ، ولا يزدعه التهديد ، فلا تركنن إلى منابذته ، فالحزم في متاركته ، والحرب متلقة للعباد ، ذهابة بالطارف والتلاد ، والسلم أرخى للبال ، وأبئى لأنفس الرجال ، وبحق أقول : لقد صدعت بحكم ، وما يدفع قولي إلا غير ذي فهم)) ، إن مناسبة الوصية كانت تدور حول قيس بن زهير العبسي قد اشترى من مكة درعًا حسنة ، تسمى ذات الفضول ، وورد بها إلى قومه ، فرأها عمه الربيع بن زياد ، وكان سيد بني عيس ، فأخذها منه غصبا ، فقالت الجمانة بنت قيس لأبيها : دعني أنظر جدي ، فإن صلح الأمر بينكما ، وإلا كنت من وراء رأيك ، فأذن لها ، فأتت الربيع فقالت وصيتها المعروضة (صفوت، ١٩٣٣، ص ١/٢٩٢-٢٩٣، أبي طاهر، ١٩٠٨، ص ١٢٥-١٢٦) ، وتضم الوصية أنساقًا مضمرة ؛ منها: نسق الاحترام والطاعة الظاهرة في عباراتها الأولى التي افتتحت بها الوصية ، وبأسلوب لين ولطيف بينت بما تريده من جدها بدلالة قولها (إذا كان قيسٌ أباي / فإنك يا ربيع جدي / وما يجب له من حق الأبوة علي / إلا كالذي يجب عليك من حق البنوة لي / والرأي الصحيح تبغته العناية / وتجلي عن محضه النصيحة) ، والنسق الثاني نسق الظلم وعدم الانصاف بحق أبيها، فقد دخلت إلى جدها مدخلا حسنا بحيث استعانت بالعبارات التي لا تُنفره منها، فقالت بوضوح ومباشرة (إنك قد ظلمت قيسًا بأخذ درعه / وأجد مكافأته إياك سوء عزمه / والمعارض منتصر / والبادي أظلم) ، والنسق الثالث نسق النصح والارشاد ، ولقد استفادت الجمانة من حكمتها وفطنتها وعكست ذلك في الجمل التي استعملتها في حديثها مع جدها الذي اعتدى على والدها وأخذ

درعه غصبًا فقالت (وليس قيس ممن يخوف بالوعيد / ولا يردعه التهديد / فلا تركنن إلى مناكبته / فالحزم في متاركته / والحرب متلفة للعباد / ذهابه بالطارف والتلاد / والسلم أرخي للبال / وأبقى لأنفس الرجال / وبحق أقول : لقد صدعت بحكم / وما يدفع قولي إلا غير ذي فهم) .

رابعًا : الأمثال

نسق جميل الخارج / قبيح الداخل

للأمثال عند العرب أهمية كبيرة، ولم يقتصر قول المثل على الرجال ، بل كان للنساء نصيب من قول المثل ، ومن ذلك ما سنذكره من كلام قالته المرأة ، ومنهن قول عُثْمَة بنت مطرود التي نصحت أختها خود، وضربت لها مثلًا قالت فيه : ((تَرَى الْفَتَيَانَ كَالنَّحْلِ ، وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ)) ، ومثلًا آخر لهند بنت الحُس التي قالت المثل : ((أَحْبَبْتُ مِنْ ذُنْبِ الْخَمْرِ ، وَأَحْبَبْتُ مِنْ ذُنْبِ الْغَضَى)) ، وقالت طريفة الخير مثلًا مفاده : ((دَهَبُوا أَيِّدِي سَبًا ، وَتَفَرَّقُوا أَيِّدِي سَبًا)) (النيسابوري، ١٩٨٧، ص ١٤٤/١-٢٦٩-٢٨٧).

وحمل المثل الأول نسقًا مضمراً هو عدم الاغترار والحكم معتمداً على المظهر الخارجي الجميل للمرء ؛ لأن مناسبة المثل هي التي فتحت باب التأويل للقراءة المضمرة للدلالات الاجتماعية ، فعلى المرأة والرجل السواء أن لا يهتموا بالشكل الخارجي للمرء، بقدر اهتمامهم بالجواهر الداخلي القبيح للمرء .

وأما المثل الثاني فيتضمن دلالة نسقية مضمرة هو التحذير والابتعاد عن الأذى والقبح الذي يصيب المرء، وهذا الرأي استنتاج للقراءة الثقافية العميقة للمفردات التي جاءت على لسان المرأة في ذلك الزمن، فضلاً عن استعمالها للتشبيه بين الأذى ومكونات الحياة البسيطة من (الخمير، الغضى)، وهذا المعنى يحمل مضمون التحذير أيّ على المرء أن يكون في حيلة وحذر من بعض المواقف الاجتماعية التي تضره .

والمثل الثالث والأخير فقد ضم نسقاً مضمراً هو التشتت والتفرقة وعدم التجمع بسبب تغير مجرى الأحداث ، وعلمنا بالحادثة التي تنبأت بها طريفة الخير بانهيار سد مأرب وفرار قبائل الأزدي من اليمن ، فقالت هذا المثل دلالة على تغير حياتهم بعد هجرتهم ، وتفرقتهم إذ لا يعودون مرة أخرى مجتمعين .

الخاتمة :

ضم البحث النتائج الآتية :

- ١- إن المرأة هي من تكلمت وسمعنا صوتها ، إذ كانت تمثل الحلقة الأساسية في تكوين العنصر للنصوص النثرية.
- ٢- امتلكت المرأة الحكم والإدارة المركزية في مجتمعها مما جعلها قيادية لها نشاطات اجتماعية وسياسية وأدبية ، فعرفنا المرأة القوية كيف كانت تعمل في حياتها الاجتماعية داخل المجتمع العربي لما لها من أهمية ومكانة عالية ، كشخصية هند بنت الخس ، وعصام الكندية ، والكاهنة الشعثاء ، وطريفة الخير ، وذو الخصة ، وأمامة بنت الحارث وغيرهن ، ذات شخصيات بارزة في العصر الجاهلي .
- ٣- تركز المرأة وإعلاء شأنها وبيان سلطتها الفكرية في النصوص النثرية الجاهلية وهي مركزاً فيه ، فرأينا المرأة الخطيبة والكاهنة التي تبصر وترى المستقبل والمتكلمة حيث قالت الوصية والمثل ، إلى ما غيرها من الأمور التي كشفت لنا وجهًا جديدًا للسلطة الأنثوية في العصر الجاهلي.

المصادر والمراجع :

أولاً : الكتب

١. أبي طاهر، الإمام أبي الفضل أحمد (ت ٢٨٠هـ). (١٩٠٨). بلاغات النساء (وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن) (واشعارهن في الجاهلية وصدر الإسلام). المحقق : أحمد الألفي . مطبعة مدرسة والده عباس الأول. القاهرة - مصر. (د.ط) .
٢. آغاسانسكي، سلفيان. (٢٠١٤). نقد المركزية - حدث الآخر . ترجمة : د. منذر عياشي . دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع . (د.ط) .
٣. التونجي ، محمد . (٢٠٠١) . معجم أعلام النساء . دار العلم للملايين . بيروت - لبنان . ط ١ .
*طريفة الخير : هي كاهنة عربية جاهلية من اليمن ، عاشت قبل سيل العرم (معجم أعلام النساء : ١٢٠).
٤. الأندلسي، الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه (ت ٩٤٠م). (١٩٨٣). العقد الفريد . بتحقيق : دكتور عبد المجيد الترحيني. دار الكتب العلمية . بيروت - لبنان . ط ١ .
٥. البغدادي، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي (ت ٣٥٦هـ). (١٩٧٦). الأمالي . الهيئة المصرية العامة للكتاب. (د.ط) .
٦. الرحيوي، عبد الكريم. (٢٠١٤). جماليات الأسلوب في الشعر الجاهلي : مقارنة نقدية بلاغية في إبداع شعراء المدرسة الأوسية . دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع . عمان - الأردن . ط ١ .

٧. الزركلي، خير الدين (ت ١٩٧٦م). (٢٠٠٢). الأعلام . قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين . دار العلم للملايين . بيروت - لبنان . الطبعة الخامسة عشرة. *هند بنت الخس : هي هند بنت الخس بن حابس بن قريظ الإيادية ، خطيبة ذات فصاحة وبلاغة وحكمة ، فصيحة جاهلية (الأعلام، ص ٩٧/٨) . *أمامة بنت الحارث : هي أمامة بنت الحارث الشيبانية ، فصيحة نبيلة جاهلية (الأعلام، ص ١١/٢) . *مزقياء بن ماء السماء : هو عمرو (الملقب بمزقياء) ابن عامر (الملقب ماء السماء) ابن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلب البهلول بن مازن بن الأزد ، من قحطان : ملك جاهلي يمني ، من التبابعة (الأعلام، ص ٨٠/٥).
٨. الزيات، حبيب (ت ١٩٥٤م). (٢٠١٢). المرأة في الجاهلية . مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. القاهرة - مصر . (د.ط) .
٩. صفوت ، أحمد زكي (ت ١٩٧٥م). (١٩٣٣) . جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (العصر الجاهلي ، عصر صدر الإسلام) . مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده . مصر . ط ١.
١٠. العجمي، عبيد مجول. (١٩٩٧). الوصايا والمواعظ الذهبية في الإسلام والجاهلية . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت. ط ١.
١١. عفيفي، عبدالله. (١٩٣٢). المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها . مكتبة الثقافة . المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية . ط ٢.
١٢. العلان، مروان. (٢٠١٢). المرأة قبل الإسلام المرأة بعده . الانتشار العربي . بيروت - لبنان. ط ١.
١٣. العلوي، هادي. (١٩٩٦) فصول عن المرأة . المرأة في الجاهلية . المرأة في الإسلام . المرأة في الصين ، قاموس المرأة - مستل من مخطوطات المعجم العربي المعاصر . دار الكنوز الأدبية . بيروت - لبنان. ط ١.
١٤. فرويد، سيجموند. (١٩٨٢م). الأنا والهو . ترجمة : الدكتور محمد عثمان نجاتي. دار الشروق. القاهرة. ط ٤.
١٥. كحالة ، عمر رضا . (١٩٥٩). أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت . ط ١. *الشعناء الكاهنة : هي كاهنة من ربوات العقل والرأي والفصاحة والبلاغة (أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ، ص ٢٩٧/٢) . *الجمانة بنت قيس : هي جمانة بنت قيس بن زهير العبسي ، شاعرة من شواعر العرب كانت ذات رأي ثاقب ولسان مبين (أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ، ص ٢٠٣/١).
١٦. محمد، أحمد يحيى علي. (٢٠١٥). شخصية المرأة في التراث العربي (مجمع الأمثال للميداني نموذجًا) . تقديم : دكتور سيد محمد السيد قطب. دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع . عمان . ط ١.

١٧. المصري، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفرقي (ت ٧١١هـ). (٢٠١٠).
لسان العرب . دار صادر بيروت . (د.ط) .
١٨. النيسابوري، أبو الفضل أحمد بن محمد (ت ٥١٨هـ). (١٩٨٧). مجمع الأمثال. المعاونة الثقافية
الآستانة الرضوية المقدسة . إيران. (د.ط) .
١٩. الهاشمي، علي. (١٩٦٠). المرأة في الشعر الجاهلي . مطبعة المعارف - بغداد . (د.ط) .

ثانياً : الرسائل والأطاريح

٢٠. آمال، خرخاش. (٢٠١١). دلالية ألفاظ المرأة في الشعر العربي القديم والمعاصر الأعشى ،
نزار قباني - أنموذجا - دراسة وموازنة . إشراف : الدكتور حملي فاتح ، رسالة ماجستير ،
كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية . جامعة العربي بن مهدي - أم البواقي -
الجزائر .
٢١. البزور، مي. (٢٠١٢). مكانة المرأة في الإسلام والمواقف الثقافية لدى النساء ورجال الدين في
فلسطين من ظاهرة ضرب الزوجات وتأويل آية القوامة . إشراف : الدكتور زهير الصباغ .
رسالة ماجستير . كلية الدراسات العليا . جامعة بيرزيت . فلسطين .
٢٢. الحراحشة، أمينة عبد المولى حمد. (٢٠٠٣). أدب المرأة النثري من العصر الجاهلي حتى
نهاية القرن الثاني الهجري . إشراف : الدكتور محمد محمود الدروبي. رسالة ماجستير. كلية
الآداب والعلوم . جامعة آل البيت .
٢٣. دويكات، زهور علي عثمان. (٢٠١٣). صورة المرأة في النثر الجاهلي . إشراف : أ. د. إحسان
الديك . رسالة ماجستير . كلية الدراسات العليا . جامعة النجاح الوطنية . نابلس - فلسطين .
٢٤. القيسي، إنعام زعل. (٢٠١٦م). صورة المرأة في أدب الرحلات من القرن الرابع الهجري إلى
نهاية القرن الثامن الهجري (الرؤيا والتشكيل) . إشراف : الأستاذ الدكتور أنور أبو سليم .
أطروحة دكتوراه . كلية الدراسات العليا . جامعة مؤتة . الأردن .
٢٥. لمياء، مقري، سهيلة، زييري ، زييري سهيلة . (٢٠١٨). صورة المرأة في رواية "أنتى السراب"
لواسيني الأعرج. إشراف : الدكتور تيس ناصر محمد الحسني . رسالة ماجستير . كلية الآداب
واللغات . جامعة محمد بوضياف. الجزائر .
٢٦. محمد، سعد سامي. (٢٠١٢). الأنا والآخر في المعلقات العشر . إشراف : أ.م.د. جنان محمد عبد
الجليل . رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة البصرة .
٢٧. منصور، خالد قسم السيد. (٢٠٠٩). الرثاء عند النساء حتى العصر العباسي . إشراف :
الدكتور عبد الرحمن عطا المنان محمد . رسالة ماجستير . معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي
. قسم الدراسات النظرية . جامعة أم درمان الإسلامية ، السودان .
٢٨. مهنا، أحمد سلمان. (٢٠٠٧). المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام . إشراف :
الأستاذ الدكتور نبيل خالد أبو علي . رسالة ماجستير . كلية الآداب . الجامعة الإسلامية -
غزة .

ثالثاً: المجلات والدوريات:

٢٩. إبراهيم، محيي الدين توفيق. (٢٠٠٧). أحاديث ابنة الخس. آداب الرفدين . عدد خاص . مؤتمر كلية الآداب العلمي الرابع . العدد (١/٤٧) .
٣٠. أحمد، فاطمة عبد العليم محمود. (٢٠٢١). إضاءات على مكانة المرأة في المجتمع العربي وفي فنون الأدب . المجلة العربية للآداب والدراسات الإنسانية . المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب . المجلد (٥) . العدد (١٩) .
٣١. باقر، نضال أحمد. (٢٠٢١). الحجاب في شعر المرأة في العصر الجاهلي . مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية . المجلد (٤) . العدد (٤٣) .
٣٢. الحبوبي، فاروق محمود ، الموسوي، زينب عزيز هادي. (٢٠٢٠). مرجعيات تشكيل صورة المرأة في الشعر العربي في كربلاء ١٩٥٠ - ٢٠٠٠ م . مجلة الباحث . كلية التربية للعلوم الإنسانية . جامعة كربلاء . العدد الرابع والثلاثون .
٣٣. حسان، تريكي ، العربي ، حجام . (٢٠١٥). الأبعاد الاجتماعية والثقافية لمشاركة المرأة الجزائرية في العملية التنموية . مجلة دراسات في التنمية والمجتمع . جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف . دار النيل للطباعة . العدد الثالث .
٣٤. حسين، نصر الدين إبراهيم أحمد. (٢٠١٥). مكانة المرأة وإسهاماتها في الأدب العربي القديم . مجلة الدراسات اللغوية والأدبية . الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا . العدد الأول . السنة السادسة .
٣٥. رشيد، مرسي. (٢٠١٤). رمزية المرأة في الشعر الجاهلي . مجلة فصل الخطاب . مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر . جامعة ابن خلدون - تيارت . الجزائر . المجلد الثاني . العدد الخامس .
٣٦. الصالحي، أنوار محمود مسعود. (٢٠٠٧). المرأة والوصايا الجاهلية . مجلة سر من رأى . كلية التربية . جامعة سامراء . المجلد (٣) . العدد (٨) . السنة الثالثة .
٣٧. الطائي، جاسم حميد جودة ، الطائي ، حسنين عماد عبدالله. (٢٠١٩). تجليات صورة المرأة والنسق الثقافي في الشعر العراقي (١٨٧٥م - ١٩٤٥م) . مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية . جامعة بابل . العدد (٤٣) .
٣٨. عبد العزيز، جنان أحمد. (٢٠٢٠) دور طريفة الكاهنة في هجرة قبائل الأزد قبل الإسلام . مجلة سر من رأى . كلية التربية . جامعة سامراء . المجلد السادس عشر . العدد الثاني والستون .
٣٩. العتابي، فراس صلاح عبدالله. (٢٠١٦). حكاية العقل الناقص و الجسد الموشوم حفريه في مقالات الفحولة الجاهلية . مجلة كلية التربية . الجامعة المستنصرية . العدد الثاني .

٤٠. علي، عبد العزيز موسى درويش.(٢٠١٩). رمزية المرأة وتجلياتها في شعر الشنفرى . مجلة الباحث . مخبر اللغة العربية. كلية الآداب واللغات . جامعة الأغواط . الجزائر . المجلد (١٠) ، العدد (٤).
٤١. فوزي، فاطمة الزهراء محمد.(٢٠٢٠). ثنائية الثأر والثورة عند الشواعر (من الجاهلية إلى العصر الأموي) . مجلة حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا . جامعة الأزهر . العدد الرابع والعشرون . الجزء التاسع .
٤٢. كامل، إيمان عصام خلف(٢٠١٩). تحولات الخطاب النسوي بين المراوغة والتملك (قراءة في الأنساق الثقافية في أدب المرأة القديم) . د . مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية . كلية الآداب . جامعة كفر الشيخ . المجلد (٢١) . العدد (٢) .
٤٣. مرزوق، سهيلة مرعي.(٢٠١٣). لمحة عن المرأة في المجتمع العربي القديم في ضوء نقوش شبه الجزيرة العربية . مجلة كلية التربية الأساسية . جامعة بابل . العدد (١٢) .
٤٤. المنصور، وسمية عبد المحسن.(٢٠٠٥). المرأة المحاوره - قراءة في التراث . مجلة عالم الفكر . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت . المجلد (٣٤) . العدد (٢) .